مسرحية

بقلم:
صالح محمد المطيري

أضاعوني

□□ أشخاص المسرحية
- أبو حنيفة
- حسان الإسكاف
- زينب امرأته
- حاكم البلد
- صاحب الشرطة
- أناس وجنود وآخرون

□□ زمن المسرحية
أواسط القرن الثاني الهجري.

□□ مكان المسرحية
البصرة

□□ المنظر الأول

(الدنيا ليل...
يزاح الستار فنرى على المسرح بيتاً متواضعاً من الداخل، يدل من نظرة واحدة على أنه بيت رجل فقير معدم، تتوسط المسرح باحة البيت الصغيرة نوعاً ما، يحتل نصفها فراشٌ رثّ، يدخل حسان الإسكاف، رجل في الثلاثين من عمره، أقرب ما يكون إلى الطول، عليه زي الصُنَّاع، حاملاً عدة صناعته على كتفه، إنه متعب، يبدو أنه قادم من مسيرة طويلة... يدخل إلى باحة البيت، ويقعد على الفراش الرث، واضعاً عدته إلى جواره. ينادي...)
حسان: يا امرأة!

(... بعد لحظات تظهر امرأته زينب، أصغر من الثلاثين بقليل، في وجهها ملامح من كان يعاني النعاس، وبدا ذلك واضحاً في صوتها، وقد لفت كتفيها بغطاء قديم، بدت خيوطه المهلهلة تموج ذات اليمين وذات الشمال، في محاولة لدرء برودة الثلث الأخير من الليل)

زينب: نعم، ها أنت قد جئت! لقد كاد الصبح أن يطلع ولَمّا تأت.

حسان: (بصوت مرهق) اسكتي يا امرأة، هل نام الصبية؟

زينب: (مستغربة) أقول كاد الصبح أن يطلع وتقول هل نام الصبية!

حسان: (مغيراً لهجته) ماذا أفعل يازينب! لقد كلّت رجلاي من طول المشي، فقد ذهبت اليوم إلى البصرة سيراً على قدميّ!

زينب: مربد البصرة! وما دعاك إلى الذهاب إلى هناك؟

حسان: إنه سوقٌ كبير، ينصرف إليه الناس من كل مكان، فلما أتيت سوق البصرة اليوم، مكثت طويلاً ولم يأتني أحد، فعلمت أن الناس قد ذهبوا إلى المربد.

زينب: (تقعد على طرف الفراش) وماذا فعلت بعد ذلك؟

حسان: لقد احتملت عدتي على ظهري وذهبت إلى هناك، فوصلت بعد الظهر، ومكثت فيه إلى قريب من المغرب، حين انفض الناس وتقوض السوق، فكررت راجعاً إلى البصرة!

زينب: (بدهشة) منذ ذلك الوقت وأنت تسير؟ لهفي عليك يا حسان! ألم تجد مندوحة من كل هذا العناء؟

حسان: (يميل على شقه) نعم، إنه بعيد من البصرة، ولم أجد أحداً يحملني من هناك **(يضع عمامته)** منذ غابت الشمس وأنا أغذ السير، ملتحفاً السُّرى، فكنت أسير حتى أتعب، فأستريح قليلاً ثم أواصل سيري.. ولم يخفني في هذا الليل مثل أن أقع في يد أحد أولئك الشطار والعيارين! ولكن الله سلّم!

زينب: (بشفقة) فداك أبي وأمي! يا حسان، وماذا يريد منك اللصوص وأنت إسكاف مسكين لا تملك إلا مخارزك الصدئة وخرجك المبطن بأوضار النعال!

حسان: (يحك رأسه) أية خرج وأية مخرز يا امرأة؟ يكفي أن يروا خيال إنسانٍ يسير وحده الليل ليقتلوه ويسلبوا ما معه، مهما كان حقيراً. بالأمس قتلوا رجلاً من بني قشير ولم يجدوا معه إلا عصا فيها سيرٌ مبتورٌ نصفه! فسلبوه إياها وتركوه طعمة للغربان وطيور الفلاة!

زينب: أبعد الله عنك كل مكروه، وسلّمك لأهلك وعيالك! لابد أنك خفت أن يسلبوك ما أحرزت، بُعداً لهم وتعساً، قل لي بالله عليك كم كسبت بعد هذه الرحلة الشاقة على قدميك؟ **(تقوم إلى طرف الباحة فتحضر إناءً فيه ماء).**

حسان: لا تسأليني كم كسبت، بل قولي كم خسرت! لقد كانت هذه الرحلة ضغثاً على إبّالة! **(يستوي فيضع رجليه في الإناء).**

زينب: (تدلك رجليه مستسلماً) وكيف ذلك؟ «متعجبة» ألم تذهب إلى هنالك لتكسب أكثر؟

حسان: (مستريحاً لما تفعل) آه، أحسن الله إليك يا أم عمرو، لقد تفطرت قدماي من المشي! **(مواصلاً كلامه)** لا، ليس الأمر كما تظنين، فما ذهبت إلى هنالك إلا لما رأيتُ من قلة الناس في سوق البصرة، الذي أجلس فيه كل يوم ولم أحصل من ذهابي على شروى نقير!

زينب: وكيف ذاك يا حسان؟

حسان: (يستند على ظهره) لا أدري! ربما أن الناس يفضلون شراء حذاء جديد على ترقيع القديم، ومن العجب أني رأيت قوماً يتأبطون نعالهم ويمشون حافين، خوفاً عليها من البلى! فلم جُعلت النعال إذن! ولقد رأيت بعضهم يمشي حافياً عند تساقط النبق من الشجر، خوفاً على حذائه من الضرر! سبحان الله! يشفقون على نعالهم ولا يشفقون على أقدامهم!

زينب: (في ابتسامة قصيرة لما يقول) هل تعني أنه لم يأتك أحد؟

حسان: لا بل قد جاءني أحد، وليته لم يأتني ولم يقف علي! **(بحنق)** تبّاً لها تلك النعال اللعينة! لقد تكسرت معي ستة مخارز وأنا أحاول إصلاحها! ومن قسوة تلك النعال يخال المرء أنها قُدّت من الصوّان وليس من الجلد!

زينب: وكيف حدث ذلك؟

حسان: لقد جاءني بعدما وصلت إلى السوق رجل مروزيٌ يريد إصلاح زمام حذائه الذي بلي من القدَم، فتأملت العطب قليلاً من الوقت، ثم شرعت في محاولة رأب انقطاعه، ووصل أسبابه، ولقد تكسرت معي ستة مخارز وأنا أحاول جاهداً إصلاحه، ولكن دون جدوى. فلما وضعت المحاولة أوزارها، وعجزت وسائلي عن اختراقها، التفت إلى صاحبها، فقلت له: اتق الله يارجل! نعلك هذه لا ينفذ فيها السيف الصقيل، فكيف بالمخرز الكليل! فنظر إليّ وقال: مرة أخرى، يعز عليّ فراقها، لن أرميها أبداً، لقد حججتُ بها! فسألته ضاحكاً: هل حججت بها أم هي حجتْ بك؟

قاتل الله أهل مرو! فإنهم لو استطاعوا لصنعوا من الصخر نعالاً! وذلك من شدة بخلهم وحرصهم على ألاّ يصيبها البلى والاهتراء! وهو مصيبها لا محالة!

زينب: (قائمة) لا عليك يا حسان، لقد بلغ منك التعب والجهد، لقد جاوزنا منتصف الليل، فأدرك ما بقي منه ونم هزيعاً وأرح جسمك قبل أن تغدو باكراً إلى صنعتك.

حسان: (يقوم هو الآخر) آه، صدقت كم أنا في حاجة إلى النوم، بعد تلك المشقة التي احتملتها، ولم أخرج منها إلا بزيادة الخيبة والخسران

(يخرجان)

○○○

□□ المنظر الثاني

(لايزال المنظر في الليل...

نرى المسرح مقسوما نصفين. نصف على اليمين يمثل بيت الإسكافي بوصفه السابق، والنصف الأخر يمثل جزءا من بيت أبي حنيفة، جار الإسكافي، حيث نشاهد فيه فناء صغيراً تحيط به أبواب الغرف القليلة، وأبو حنيفة، أشيب، قد ذرّف على الخامسة والستين من عمره، تتوج وجهه لحية بيضاء وقور، وقد رسم التقدم في السن خطوطاً متوازية على جبهته، وبمحاذاة صدغيه، متلفعاً بطيلسانه الذي علقه على كتفيه، ومعتجراً عمامته، تدلت منها ذؤابة إلى الخلف، متوسطاً فناء بيته، مستقبلا القبلة، يصلي كما هو شأنه في ليله، ويسلم كل ركعتين. يدخل الإسكاف إلى بيته، فتسلط الأضواء عليه، يبدو عليه التعب كعادته، يضع عدته جانباً، وينتحي جانب الحصير الممدود في الباحة الصغيرة، يجلس)

حسان: (لنفسه) آه، ها قد جئت الآن، إلى بيتي لأنال شيئا من الراحة، وأريح جسمي المنهك، وقواي الخائرة، ثم أغدو صباحا برفقة مخارزي ومرقعاتي إلى مصطبتي لأرقع نعال العباد...

زينب: (وقد بصرت به) ها قد جئت ياحسان!

حسان: نعم وإني لمتعب وجائع فهل عندك مايؤكل؟

زينب: (تضرب كفا بكف) ليس عندي إلا ما قد علمت!

حسان: (يهز رأسه) أعرف، خبز شعير يابس!! لا بأس! أحضريه الآن، فإنه أفضل من أن أنام خاوي البطن!

زينب: (تذهب وتحضره) ها هو ذا!

حسان: هذا نصفه! فأين النصف الآخر؟

زينب: كسّرته للصبية وبللته ماء وقدمته لهم، ولولاه ما ناموا.

حسان: (للجمهور) تبا للفقر يبخسنا حتى خبز الشعير اليابس!

(تذهب زينب وتحضر ماتبقى منه)

زينب: (تضع أمامه قطعة الخبز في صحفة ومعها إناء ماء) هذا هو يا حسان، كل وتناول عشاءك! كيف عملك اليوم؟

حسان: (يتناول كسرة من الخبز) أبداً مثل كل يوم! تعب وشقاء وشمس، ومعاناة لأحذية الناس بكل ما فيها من أذىً وقذارة! مقابل دوانق زهيدة لا تكاد تجزئ كل هذه السخرة!

زينب: (تجلس قبالته) أعانك الله يا حسان، هذه هي الحياة!

حسان: (يمضغ كسرة أخرى) نعم! هي كذلك، لكن مادام هناك شيء يؤكل، مهما كان حقيراً، فهو أحسن من لا شيء بالتأكيد! (يمكث ليتناول بقية ما أحضرته له، ثم يلتفت إليها ويقول بلهجة آمرة) أقول لك يا امرأة، قومي إلى تلك الخابية في مطبخك، وأحضري لي قنينة وضعتها فيها البارحة.

زينب: (بذعر) حسان! يا ويلي ويا سواد ليلي! قنينة ماذا؟ ويلاه! أوصرت تشربها بالقناني بعد أن أذهبت قوت عيالك في أسفاطها المهترئة!

حسان: (بنظرة غاضبة) اذهبي وأحضري ما قلت لك!

زينب: (قائمة) اتق الله يا حسان! وأبق لعيالك شيئاً من قوتك، وارحم رأسك المتعب وجسمك المنهك، أيسرك أن تسكر وتعربد وعيالك يتضورون جوعاً!

حسان: (منفجراً) أف، كفى! كفى! اغربي عن وجهي وكُفّي عن رقائقك وعظاتك، وانجحري إلى عيالك ودعيني أحيا ساعتي، بعد أن قتلني العمل، ونخرني الكد، وبلغ مني السعي وراء لاشيء! أبهذه الحال تقابلينني، وتبشين في وجهي!

زينب: (محاولة تهدئته) كل ما أرجوه أن أثنيك عما أنت منكفئٌ فيه من....

حسان: (مقاطعاً، ومشيراً بقبضته) سُحقاً لك وخُسْراً! تالله إنك للكَاع التي عناها الشاعر:

أُطوِّف مـــا أُطوِّفُ ثم آوي

إلى بيت قعيدته لكاع!

زينب: (دامعة) سامحك الله يا حسان! أأنا لكاع! أأنا لكاع! أقوم على خدمتك، وأرعى شئونك، وأسهر على راحتك، وأربي صبيانك، وأقوم ببيتك، ثم تقابلني بهذا الوصف الوضيع؟

حسان: (مندفعاً) أقصري أيتها المرأة! وإلا قمت وأدبتك! **(يهم بالقيام بسرعة، فتهرب المرأة وتدخل حجرة الصبية، تتبعها الإضاءة، تصفق على نفسها الباب وهي مذعورة، أحد الأولاد يشعر بها، من بين عدة أجسام منحشرة تحت لحاف خَلِق، فيقوم إليها ويقول.....)**

الصبي: (متحسساً أمه) مالك يا أماه؟ صفعت الباب وأنت خائفة! هل هناك لصٌ بالبيت يتهددك؟!

زينب: (تهدئ من روعها) لا يابني ليس لصاً، ولا شيء هناك، نم يابني، ولا عليك!

الصبي: إذا لم يكن لصاً فلا يكون إذن إلا أبي! عجباً لماذا هذه الأصوات كل ليلة؟ ألاينام في الليل مثل ما ينام الناس؟

زينب: (زاجرة) اسكت أيها الولد، نم،

أضاعوني

قلت لك لا شيء هناك، هيا نَمْ ولا عليك.

الصبي: (منصاعاً) حسنٌ، سأنام، ولكن أبي لا يجعلنا ننام!

(يعود المنظر إلى باحة البيت، حسان قد أحضر قنينة الخمر بنفسه، بدأ يصب منها في كأسه).

حسان: (متأملاً الكأس وفيها الشراب) صهباء معتقة! اتخذت من قبل الطوفان بعشرة أعوام، وظلت حبيسة الدن على كر السنين والقرون، ومع ذلك تبدو شابة فتانة، ولونها أصفى من عين الديك، ولها حَبَبٌ يتطاير فينعش الروح قبل أن يخامر الروح، ولها دبيبٌ في الجسم كدبيب البُرء في السقم، وإن كان العكس هو الصحيح! **(ينظر إلى الجمهور بابتسامة ساخرة)** وتنفث خدراً لذيذاً يسري في الجسم والمفاصل...

ثم ينهي تأملاته الشاعرية بتجرع عدة كؤوس منها.. يضع الكأس جانباً، يبدو وكأنه يتنفس الصعداء، يميل إلى نمرقة ممزقة جواره فيتكيء عليها، يمكث هنيهة وهو متكيء.. بعد فترة من الوقت يبدو أن الخمر بدأت تعمل عملها، يرفع رأسه، وينظر نظرات حالمة، بجفون مسترخية، يغمض عينيه بشدة، ويفرك جبهته بيده، يبدو أنه يشعر بصداع عنيف، لحظات... تخف حدة الصداع، ويعود إلى حاله السابقة ونظراته الحالمة، وجفونه المريضة، يتمتم بكلمات مسموعة..)

حسان: (لنفسه، متأففاً) لحاها الله خَمرة يهود! **(يبصق)** رأيتها في القناني المشوقة فحسبتها أفضل من ذي قبل، عندما كنت أشتريها في تلك الأوعية القذرة المليئة بالشوائب والقذى، فإذا هي هي! نفس الطعم ونفس القذارة! مغشوشة محلولة! اختلف الشكل والمظهر، لكن اتحد المحتوى والمخبر! **(يشير بيديه)** ماذا أفعل؟ ما باليد حيلة! لم تمكّني دوانيقي القليلة من سباء المطهمة العتاق، فانتكست إلى اقتناء الملوثة الزُعاق! شُلّت يداك يانسطاس الخمار! أنت وشرابك الرخيص المخلوط! اعتصرتك المنون! أنت وعصيرك الحازر المجوج! تعطيني عصارة الحصرم وتستأثر بخلاصة الزبيب! ترتشف الرحيق ثم ترمي إليّ بالحثالة! **(يشير بوجهه)** آه، الآن فهمت! تريد أن تثأر لدريهماتك المتأخرة! وتنفس عن إحنك المترسبة! **(يشير بازدراء)** ولكن هيهات! لقد أبعدت مرماك، وجاءت الأمور عكس هواك! فلن تنال فلساً واحداً مني! خصوصاً مع تدهور الأجور وتتابع الأزمة والثبور، نعم لتبق هكذا! تجتر غيظك عليّ، حتى ينضج قلبك منه! نعم! لتخسأ أيها القذر! آه، اسكت!.. أراك تبتسم في سخرية! آه ماذا تقول؟ تظن أني لا أستغني عنك، وأني لن ألبث أن أعود إليك، وأني سآتيك متضرعاً متذللاً أستقرضك بعض عصيرك، وأستمنحك بعض خمورك، وأنك ستطردني شر طردة، ولن تسلفني البتة! لا، لا لا يا أيها العلج! ليس الأمر كما ظننت! لن أحتاج إليك! ولن أقف على بابك! لأني عندها سأحل ضيفاً على ذلك الراهب المعتصم بديره، آه نعم، عرفته إذن! نعم ذلك الراهب الذي يقطن بظاهر البلدة بجوار ذلك التل الصغير، يكفي فقط أن أنظف له حذاءه، أو أصلح بعض شأنه ليترعني بعدة أقداح، من تلك الراح، نعم! أنت لا تعرفني حق معرفتي، ولا تقدرني حق قدري! أنا حسان الإسكاف! كل الناس، صغيرهم وكبيرهم، غنيهم وفقيرهم، وجيههم ووضيعهم، ينحنون إلى مصطبتي في ذلة وخضوع، لكي أصلح لهم نعالهم!

(بغيظ) تباً إن الناس لا تقدرني، ولا تدرك مكانتي ولا تعاملني بما أنا أهلٌ له. **(بأسف)** حقاً ياللضياع! وياالضيعة الموهبة والإبداع! صدقوا! لا كرامة لنبي في وطنه، ولا لمبدع في أهله! ولا لكريم في قومه!

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

ليوم كريهة وسداد ثغر

واحسرتاه! (يهز رأسه إلى جانبيه متأسفاً ويردد)

أضاعوني وأي فتى أضاعوا

ليوم كريهة وسداد ثغر

(يردد بانسجام وتفاعل، يرفع صوته أكثر من ذي قبل، يبدو أن المقطع حاز إعجابه ووافق هواه، يواصل غناءه بترجيع وتلحين مختلط بالسُكار)

أضا.. عوني.. وأي فتى أضا... عوا

ليوم ك.. ريهة وسداد.. ثغر

.... كأني... لم أكن فيهم.. وسيطاً..

ولم تك نسبتي في آل عمرو...

(يضيء جانب المسرح الذي نرى فيه جزءاً من بيت أبي حنيفة...

الصوت يصل إلى أبي حنيفة في بيته وقد فرغ لتوه من صلاته، يضم عباءته على نفسه، ثم يشرع في التسبيح والذكر الذي يتلو كل

صلاة.... بعد وقت قصير ينتهي من تسبيحه...)

أبو حنيفة: (بأسى) لا حول ولا قوة إلا بالله! إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! لم يزل هذا دأبه منذ جاورته وعرفته، إذا جنه الليل وسكن إلى بيته بعد أن سكنت المخلوقات ونام الناس وهدأت الرِّجْل يعمد إلى أم الخبائث وأصل الشرور، فيعكف عليها حتى يتحول إلى مجنون لا ينام الناس من صوته وزعيقه، ولا يهدأ الليل من غنائه وترجيعه! كان الله في عون زوجته وأولاده! إني لأتعجب كيف يتحملونه ويصبرون عليه وهو على هذه الحالة من مواصلة القصف والعربدة! إني لأرثي له ولأولاده!

(يتأثر أبو حنيفة، ثم لا يلبث أن يرفع يديه بالدعاء...) اللهم اهد جاري المسكين فإنه من الجاهلين! اللَّه اهد جاري المسكين فإنه من الجاهلين! اللهمَ اهده إلى الصراط المستقيم، واكشف ما به من البلاء والمعصية، وأنقذه من أم الخبائث واصرف عنه خُمارها وودها وأرشده إلى طريقك القويم، فإنه لا يعجزك شيء في السموات ولا في الأرض.

يا رحمن يارحيم إنك على كُلِّ شيء قدير! **(ينتهي من دعائه، ثم يقوم)**

يخرج

○○○

□□ المنظر الثالث

(أبو حنيفة كعادته يصلي ليله..

يبدو أن وقت الفجر قد قرب وهو في آخر صلاته.. يفرغ من صلاته ويسلم، يمكث وقتاً قصيراً يسبح ويذكر الله ويدعو بما شاء من دعائه، ينتهي من ذكره، يلتفت برأسه وكأنه تذكر شيئاً افتقده...)

أبو حنيفة: سبحان الله، مضى أسبوعان وأنا لم أجد لجاري حساً ولم أسمع له صوتاً! وقد كان يمضي ليله في السكر والعربدة، ويزعج النائمين بغنائه وتخيلاته! حتى أصبحت له عادة لاتكاد تفارقه، عندما ينقلب راجعاً إلى بيته! فلماذا انقطع عنها فجأة، إني لأعجب من ذلك، سبحان الله، إن له لشأنا!

(يُسمع أذان الفجر منطلقاً من مآذن البصرة.. بعد نهاية الأذان يقوم أبو حنيفة مستنداً إلى عصا بجواره فيصلي نافلة الفجر. ينتهي من صلاته ثم يمضي إلى المسجد ليؤدي فريضة الفجر)

يخرج

○○○

(يبقى أبو حنيفة في المسجد بعد صلاة الفجر، حيث يلقي على تلاميذه درساً من دروسه اليومية، يستمر الدرس حتى طلوع الشمس، بعد ذلك ينصرف أبو حنيفة عائداً إلى بيته، تضاء أنوار المسرح على الجزء الخاص ببيت أبي حنيفة، يبقى الجزء الأخر الذي يمثل بيت الإسكاف مظلماً. يدخل أبو حنيفة)

أبو حنيفة: (منادياً الجارية) يامرجانة...

(تخرج مرجانة من إحدى الغرف)

الجارية: (بصوت المستيقظ من النوم) نعم يامولاي...

أبو حنيفة: هل استيقظ أهل البيت مبكرين؟

الجارية: نعم يامولاي، لقد استيقظوا مبكرين، هل لك من حاجة؟

أبو حنيفة: (يتهيأ للجلوس) نعم يامرجانة لي حاجة أرجو أن تؤديها أنت بنفسك **(يستوي جالساً)** إن جاري هذا **(يشير بيده جهة بيت الإسكاف)** مضى أسبوعان بتمامهما ولم أجد له حساً، وله أولاد وزوجة بالبيت، فلو ذهبت إليهم لتنظري لي ما حالهم، ولتستخبري لي عن أبيهم، فلربما أصابه شيء أو حدث له مكروه.

الجارية: سمعاً وطاعة يامولاي، ها قد ارتفعت الشمس، وسأذهب للتو.

أبو حنيفة: عودي إليَّ هنا، فأنا منتظرٌ في البيت.

(يدخل أبو حنيفة إلى إحدى الغرف، تخرج الجارية، يظلم جانب المسرح الخاص ببيت أبي حنيفة، يضيء الجانب الخاص ببيت الإسكاف، يُسمع طرقات على الباب، تخرج زينب زوجة الإسكاف من إحدى الغرف ذاهبةً لتنظر من الطارق، تفتح الباب فإذا مرجانة، خادم أبي حنيفة)

مرجانة: (بلهجة رزينة) السلام عليكم.

زينب: (باستغراب) وعليكم السلام.. من أنت؟ وماذا وراءك أيتها المرأة؟

مرجانة: أنا مرجانة، جارية جاركم أبي حنيفة.

زينب: (مطمئنة) أهلاً ومرحباً، ما وراءك يامرجانة، هيا هلمي بالدخول، لن تظلي واقفة هكذا، ليس بالدار أحد إلا أنا والأولاد.

مرجانة: (بطريقة مهذبة) معذرة إني في عجلة من أمري، لا أستطيع المكوث هنا، لقد بعثني سيدي أبو حنيفة لأنظر حالكم، وأستخبر له عن زوجك لأنه افتقده منذ مدة.

(الصِّبْية في الداخل كأنهم سمعوا الصوت الغريب، فخرجوا إلى باحة البيت حيث الأم والجارية مرجانة واقفتان لدى الباب، يأتون إلى أمهم ويتحلقون حولها ليستطلعوا هذه الزائرة الغريبة، وهم ثلاثة أولاد

وبنتان)

زينب: (**متنهدة**) ماذا أقول لك يا مرجانة! لقد مر أسبوعان وزوجي غائب، لا أدري أين هو؟ وكان قبل ذلك لايكاد يغيب يوماً واحداً، لا في سفر ولا في غيره.. ولا أدري ما أصابه، وحدا به إلى مثل هذا الغياب. أبيت كل ليلة ساهرة أنتظره، لأنه يعمل سحابة يومه ولا يأتي إلا في الليل. ما أعظم ما أقلقني وبرح بي غيابه بهذه الفجاءة.

مرجانة: (مواسية) لا حول ولا قوة إلا بالله، أعانك الله، وربط على قلبك، وردّ غائبك!

زينب: (**مواصلة بنفس اللهجة**) في كل مرة يسألني الصبية عنه ولماذا غاب كل هذه المدة.

مرجانة: ألم يأتك خبرٌ عنه، ألم يخبرك أحدٌ بشيء؟ ألم تبحثي عنه؟

زينب: لم أجد خبراً أكيداً عنه حتى الآن. ولقد بعثتُ إلى رفاقه الصنّاع فلم يفيدوني بشيء عنه، وتجولت في السوق حيث كان يعمل فلم أجد له أثراً، وسألتُ أهل السوق عنه فقالوا إنهم لم يروه منذ غيابه، ولا يدرون مصيره (**تطفر منها دمعة**) وأخشى ما أخشاه أن تكون اصطلمته جائحة، أو غرق به مركب، أو قتله اللصوص وهو ذاهب في بعض شأنه، (**ضارعة**) وازوجاه! فداك أبي وأمي! سلّمك الله من كل مكروه! (مواصلة حديثها) ولا أستطيع الخروج للبحث عنه في محالّ البصرة، حتى يقدم أهلي من الكوفة فيبحثوا عنه.

مرجانة: هل يعني هذا أنك لم يصلك خبرٌ عنه البتة؟

زينب: ليس هناك خبرٌ أكيد يقودني إليه، كل ما وصلني هو تخرصات وظنون من مثل تلك التي ذكرت، وكل ذلك زاد في همي وحزني، لقد بدأت أحس مرارة الفقد والثكل (أصغر الأولاد ينحشر إلى حجر أمه وينظر ببلاهة إلى الجارية، الأم تمسّد رأسه بحنان).

مرجانة: هكذا إذن، كلها أقوالٌ غير مُطمَئِنة.

زينب: هذا ماسمعت، وما خطر ببالي لأول وهلة! أرجو من الله أن تخيب كل هذه الظنون وأن يعود إلينا سالماً.....

(**تسكت لثوان ثم تواصل كمن تذكر شيئاً**) لكني سمعتُ بأن...

مرجانة: (**باهتمام**) عجباً ماذا سمعت؟ هل وصلتك أنباء أخرى؟

زينب: (**بشيء من الحرج والتردد**) لقد سمعتُ.. عجوزاً البارحة.. تذكر أن.. ابناً لها أخذه العسس منذ... منذ أيام، وأخذوا معه اثنين أو ثلاثة آخرين. والذي أعلمه جيداً أن زوجي ليس له علاقة بهذا الابن، ولا تربطهما معرفة، لأن زوجي إسكافي، وابنها نجار، بيد أني لا أعلم اليقين إن كان حقاً من أولئك النفر أم لا؟

مرجانة: فهمت... وكيف حالك وحال الأولاد؟

زينب: أما حالي فكما ترين وكما قلت لك، وأما الأولاد فقد تدهورت حالتهم من سيئ إلى أسوأ، بعد غياب أبيهم، وانقطاع القوت الذي كان يوفره لهم، ونفاد خبز الشعير الذي كنت أبله لهم بالماء حتى يأكلوه.

مرجانة: حسنٌ، إني ذاهبة الآن، واسأل الله أن يرد غائبك، ويطعم عيالك. وسأخبر سيدي بما قلت.

زينب: جزاك الله خيراً وأحسن إليك!

الجارية: (**منصرفة**) أستودعك الله، السلام عليكم.

زينب: وعليكم السلام، في حفظ الله ورعايته.

(**تخرج الجارية من بيت الإسكاف، وتعود إلى بيت سيدها أبي حنيفة،**

أضاعوني

أبو حنيفة جالسٌ في فنائه، مسنداً ظهره إلى جدار إحدى الغرف المطلة على الفناء، تدخل الجارية..)

الجارية: السلام عليكم يامولاي.

أبو حنيفة: (**بتلهف**) وعليكم السلام ورحمة الله، ها، هل جئت بخبر عن جاري؟

الجارية: نعم يا مولاي.

أبو حنيفة: هل هو موجود؟ هل هو مريض؟

الجارية: لا،ليس كذلك يامولاي.

أبو حنيفة: ما به إذن؟ أخبريني يا مرجانة؟

الجارية: إنه غائب منذ مدة.

أبوحنيفة: لقد صدق حدسي إذن! ليس بالدار.(**يصمت لحظة**) وأين ذهب؟ هل وجدوا له من خبر؟

الجارية: ليس هناك خبرٌ يقين عنه حتى الآن.

أبو حنيفة: عجباً كيف اختفى بهذه الصورة المفاجئة!

الجارية: لكن زوجته تقول إنها.. ...

أبو حنيفة: (**منتظراً**) نعم يا مرجانة هل سمعت شيئاً، مالك سكتّ؟ هل أسرّت إليك بشيء؟

الجارية: (**بتحفظ**) لا لم تُسرّ إلي بشيء، لكنها تقول إنها سمعتْ أن العسس أخذوا نفراً من الرجال في

بعض الليالي، ولا تدري إن كان زوجها في عدادهم أم لا.

أبو حنيفة: (كمن بدأ يفهم) آه، هكذا إذن، أحسنت صنعاً يامرجانة. وماذا عن أهله وأولاده بعد هذا الغياب؟

الجارية: (تخبره بكل ما قالته المرأة عنها وعن أولادها)

أبو حنيفة: (مندهشاً) ياويح أبي حنيفة! صبيان جاري يتضورون جوعاً وفي بيتي شيء من مطعوم! **(مخاطباً الجارية)** هيا يامرجانة اذهبي إلى المطبخ واحملي ما تجدين فيه من طعام وخذيه إلى أهل جاري حسان، وأعيني المرأة على صنعه، وأصلحي من شأن الأولاد.

الجارية: (ببعض الانشغال) الآن يا مولاي.

أبو حنيفة: (مستغرباً بلطف) ومتى إذن؟ بعد أن يموتوا جوعاً! **(بلهجة هادئة)** هيا اصنعي ما قلت لك، وسأذهب أنا لبعض شأني.

(تذهب الجارية إلى المطبخ، ويخرج أبو حنيفة، ويسدل الستار)

المنظر الرابع

(المنظر في دار الإمارة بالبصرة، يزاح الستار عن ديوان كبير متوسط الفخامة، يحتل أنحاءه عدد من قطع الأثاث والرياش المختلفة، حيث بدا في الوسط كرسي الأمير تظلله ستارة مخملية، وإلى قريب منه اصطفت مقاعد عريضة إلى اليمين واليسار وهي مخصصة لجلوس حاشيته ومريديه، وفي المركز بين هذه المقاعد وضعت بعض المناضد الصغيرة، استقرت فوقها أوعية نحاسية من تلك التي تستخدم عادة في الخدمة إلى أقصى اليمين من ذلك كله نرى مدخل الديوان المفضي إليه، وقد انتصب إلى جانبه حاجب بزي المقاتلة، معتمراً خوذته المعدنية ومعتمداً رمحه الطويل ومنتطقاً سيفه.. نشاهد الأمير جالساً على كرسيه، وهو رجلٌ ربعة من الرجال. ليس بالطويل ولا بالقصير، في حوالي الخمسين من العمر، موفور القوة، مجتمع الخلقة، توحي قسمات وجهه بأنه يتحلى بقدر من الحزم ورباطة الجأش، تغطي ذقنه لحية سوداء قصيرة، وتحيط بجبهته عمامة معصفرة، من قصب، مرتدياً بُردا من برود اليمن، وهو مشغولٌ في رُقعة يقرؤها، في حين انتظم على المقاعد أمامه جوقّة من حاشيته المألوفة لديه.. لعل من أبرزهم صاحب شرطته، الذي جلس عن يمينه.. نلاحظ علامات الاستياء والتمعر في وجه الأمير كلما أمعن في القراءة، الحاضرون ينتبهون لهذا التغير الطارئ بسبب هذه الرقعة التي بين يديه، ويستعدون لاستكناه ماجاءت به. يدفعهم الترقب إلى التفكير في ردود مناسبة تعقيباً على ماقد يكون في الرقعة من أخبار مقلقة لراحته.. بعد وقت قصير ينهي الأمير قراءته وينظر أمامه بنظرات غير مستقرة...)

الأمير: (متأففاً) تباً لهم من عصاة! ما إن ننتهي من خوارج بني مازن حتى يأتينا لصوص بني أسد! (يشير بالرقعة) ها هو ذا صاحب الخبر ينبئني عن هجوم زمرة من قطاع الطرق على السابلة في الليل وقتلهم لرجل طمعوا فيما معه. ياللهوان! أليس لهؤلاء الفساق من يؤدبهم ويكبح جماحهم ويقطع أذاهم؟

صاحب الشرطة: (محرجاً) مولاي، لقد جردتُ عليهم رجالي في أكثر من موقعة، ونصبنا الكمائن في كل مكان، ولكنهم في كل مرة نباغتهم يتفرقون في مسالك الأرض وتبتلعهم مجاهل الصحراء.. ولقد طلبناهم مرة لمدة ثلاث مراحل كاملة حتى وصلنا رمال بني سعد، وكدت أهلك أنا ورجالي في تلك المفاوز التي لا ظلَ فيها ولا ماء، ولا علم ولا دليل. يضيع فيها الخرّيت، وتتقطع من ظمئها الإبل.

الأمير: قاتلها الله زمرة الباطل، وأعوان الشيطان! سأتولاهم أنا بنفسي، وسأردهم إلى جحورهم التي خرجوا منها في مضارب الريان تباً لأولئك الأعراب أما لهم من رادع؟

أحد الحضور: (معقباً) لا تحمل هماً أيها الأمير، سيستأصل الله شأفتهم ويقطع دابرهم ويريح الناس من شرهم، ويشفي قلوب قوم آخرين.

الأمير: سأشرع إن شاء الله من الغد في تدبير خطة للقضاء عليهم وجعلهم عبرة لغيرهم.

(أقصى يمين المسرح نشاهد أبا حنيفة وهو يهم بالدخول، ويكلم الحاجب الواقف لدى الباب)

أبو حنيفة: السلام عليكم.

الحاجب: وعليكم السلام ورحمة الله.

أبو حنيفة: قل لي رحمك الله، هل الأمير موجود في ديوانه الآن؟

الحاجب: نعم.

أبو حنيفة: إذن فقل له أبو حنيفة يستأذن بالدخول.

(يذهب الحاجب فيدخل إلى ديوان الأمير، ويقترب من مجلسه في انضباط وثبات)

الحاجب: مولاي الأمير!

الأمير: (ملتفتاً نحوه) نعم، ماوراءك أيها الحاجب؟

الحاجب: بالباب أبو حنيفة الفقيه،

وهو يستأذن مولاي بالدخول.

الأمير: من؟ أبوحنيفة؟.. أبو حنيفة بالباب؟ وماذا تنتظر أيها الحاجب؟ هيا اسمح له بالدخول.

(أبو حنيفة يدخل إلى الديوان في وقار وجلال محتفظاً بهيبته ومشيته)

أبو حنيفة: السلام عليكم أيها الأمير.

الأمير: وعليكم السلام يا أبا حنيفة.

أبو حنيفة: كيف حالك أيها الأمير؟

الأمير: بخير والحمد لله، لقد شرفت دار الإمارة ومن فيها بحضورك وقدومك علينا، وإنها لساعة عظيمة أن نراك هنا في زيارتنا يا أبا حنيفة.

أبو حنيفة: جوزيت خيراً أيها الأمير، هذا من طيب معدنك وكمال شمائلك.

الأمير: تفضل بالجلوس يا أبا حنيفة.

(يجلس أبو حنيفة)

أبو حنيفة: بارك الله فيك، لن أطيل جلوسي أيها الأمير، فقد...

الأمير: (مقاطعاً بتؤدة) كيف تقول ذلك يا أبا حنيفة؟ إنها فرصة كبيرة بالنسبة لي أن تكون في مجلسي وإني لمغتبط جداً أن أكون موجوداً في مجلس يضم أبا حنيفة، فقيه عصره وعالمَ زمانه.

أبو حنيفة: (مبتسماً) غفر الله لك ورحمك، ماكلُّ هذا الإطراء؟ فإنما أنا رجلٌ من عرض الناس وسوادهم!

الأمير: (يشير بيده) لا يا أبا حنيفة، ليس الأمر كذلك، إن للعلم مكانةً ومنزلة بين الناس كما تعلم أنت.

أبو حنيفة: (محتفظاً بابتسامته) أرجو أيها الأمير أن تدعنا من هذا الآن، لقد جئتُ إليك في حاجة تخص...

الأمير: (مقاطعاً) حوائجك مقضية يا أبا حنيفة قبل أن أنظر فيها، وقبل أن تشرع أنت في عرضها.

أبو حنيفة: بارك الله فيك، إني لم أتم كلامي بعد..

الأمير: ليكن ذلك في علمك من البداية يا أبا حنيفة.

أبو حنيفة: أيها الأمير، والله ما جئت إلى بابك لحاجة لنفسي أو لخاصتي، لأن جوائجي أحتفظ بها لنفسي وأبوح بها لمن هو أعلم بحاجتي وفقري مني.

الأمير: (متأملاً الكلام برهة) أعلم ذلك جيداً يا أبا حنيفة **(يهز رأسه موافقاً)** إنما نحن خلقٌ ضعاف..

أبو حنيفة: (متمماً كلامه) ولكنها حاجة من صبية صغار وزوجة مسكينة ينتظرون عائلهم الغائب، متى يرجع إليهم.

الأمير: آه فهمت الآن.. **(يصمت)**.. وأين عائلهم يا أبا حنيفة؟

أبو حنيفة: لقد اختفى منذ أكثر من أسبوعين، وبحثت عنه زوجته كل هذه المدة ولم تجد له أثراً، وأخيراً تناهى إلى سمعها أن العسس ربما أخذوه ليلاً وأودعوه السجن.

الأمير: وكيف عرفتَ ذلك يا أبا حنيفة؟

أبو حنيفة: إنه جاري لصيق داري، واسمه حسان.

الأمير: (إلى صاحب الشرطة) هل أودعتم أحداً السجن منذ تلك المدة ياصاحب الشرطة؟

صاحب الشرطة: نعم يامولاي، لقد قبضنا على حفنة من الصُّناع وجدناهم مجتمعين في سقيفة بأطراف البلدة، وذلك بعدما أصدرتم أمراً يقضي بحظر الدَّلَج. (التجول ليلاً)

الأمير: لك ذلك يا أبا حنيفة.. **(للحاجب)** أيها الحاجب!

(يأتي الحاجب)

الحاجب: (بكل خضوع) لبيك يا مولاي..

الأمير: أطلق كل من قُبض عليه في

أضاعوني

تلك الليلة إكراماً لأبي حنيفة ومجيئه إلينا بنفسه.

أبو حنيفة: بارك الله فيك وأصلح شأنك، هذا ما أمّلته فيك ورجوته من قدومي عليك.

الأمير: كيف لا أنزل عند رغبتك وأنا أعلم أنك ما جئت إلا لخير الناس قبل خير نفسك؟ فو الله ماجاءني غيرك إلا ويريد أن يكسب لنفسه شيئاً قبل غيره، ينتظر مالاً أرفده به، أو جاهاً أخلعه عليه، إلا أنت يا أبا حنيفة.

الحاجب: (يدخل) سيدي الأمير، ها قد أفرجنا عن أولئك النفر السجناء.

الأمير: هل بينهم رجلٌ يدعى حسان؟

الحاجب: نعم يا مولاي. ها هو ذا حسان صاحب أبي حنيفة.

الأمير: حسنٌ أيها الحاجب، إئذن له بالدخول.

(يخرج كل من على خشبة المسرح ويبقى أبو حنيفة في مجلسه)

ooo

المنظر الخامس

(أبو حنيفة جالساً، يدخل حسان الإسكاف)

حسان: (في مشهد درامي مؤثر) من؟! أبو حنيفة!!

أبو حنيفة: (هاشاً) مرحباً يا حسان،

لكم أنا سعيد بإطلاقك.

حسان: (تكاد الدهشة تعقد لسانه) أنت أبو حنيفة؟ أكاد لا أصدق ما أرى.

أبو حنيفة: (مبتسماً) ولَم لا تصدق؟ أنا جارك أبو حنيفة، حمداً لله على سلامتك.

حسان: هل جئتَ إلى هنا لإطلاقي؟

أبو حنيفة: ماجاء بي إلا هذا رحمك الله، والآن دعنا نترافق إلى البيت.

حسان: يا للدهشة!!

أبو حنيفة: عجباً لك ياحسان، ولمَ الدهشة؟ وأنا جارك ولصيق دارك، هل في الأمر غرابة؟

حسان: هل أنت متأكدٌ أنك ماجئت إلى هنا إلا لإطلاقي؟

أبو حنيفة: (صابراً) آه ياحسان، مالزوم كل هذا الجدل! أخبرتك بالأمر سلفاً، هيا يا بني لنذهب إلى البيت، فزوجتك وأطفالك على أحر من الجمر في انتظارك.

حسان: (يجثو على ركبتيه متأثراً) يالي من مجرم! يالي من فاسق أثيم! ياللعار!

أبو حنيفة: (يلحظ تأثره، ويتوجه إليه مهتما) ما هذا يا بني!!

حسان: (متابعاً) كم أنا مجرمٌ وأثيم! أنت تعرف أني ماجيء بي إلى السجن إلا لأنني فاسق سكّيرٌ عربيد!

أبو حنيفة: (مُطمْئناً) على رسْلك يابني، اهدأ واضبط نفسك، ولا داعي لمثل هذا الكلام الآن، أنت رجل كبيرٌ وعاقل، ولابد أن يكون لديك شيءٌ من الحزم والرزانة.

حسان: (بألم) إني لا أتصور أن تأتي لتسعى في إطلاق سراحي بعدما كدرت عليك صفاء ليلك، وأفسدتُ عليك خلوتك ومناجاتك وعبادتك.

أبو حنيفة: (بضحكة خفيفة، كمن يريد أن يداري شيئاً) إيه يابني، رحمك الله، إني لم أجد منك إلا كل خير! لا تُحمّل المسألة أكثر مما تستحق. لم يكن هناك لا خلوة ولامناجاة ولاصلاة تُذكر، وطوال نومي لم أسمع من جهتك شيئاً.

حسان: (مشيراً بأصبعه) أنت آخر شخص بالبصرة أتوقع أن يأتي لإخراجي!

أبو حنيفة: (مستفهماً) عجباً، سبحان الله! وكيف ذاك؟ هل فعلتُ شيئاً بحقك؟ مما قد يغيّرك نحوي أو يلحق بك أذى؟

حسان: لا، ليس ذاك، ولكني، كما تعلم أنت، سكير، عربيد زنديق...

أبو حنيفة: (مقاطعاً) حسان!.. بالله عليك تمالك نفسك، ما هذا الذي تقول؟!!

حسان: (مواصلاً بنفس اللهجة) نعم هذا ما أقوله! أنا سكير عربيد زنديق وأنت رجلٌ شريف وعالمٌ وفقيه! كيف تأتي لإخراجي من السجن وقد علمتَ ذلك من قبل؟!

أبو حنيفة: عجباً ياحسان! ماكلُّ هذا الإطراء لشخصي، والتنقص والتشويه لشخصك؟!

حسان: هذه هي الحقيقة، أليس كذلك؟

أبو حنيفة: (مشيراً بيده) أرجوك ياحسان، أنت رجلٌ مؤمن، أقلع عن هذه الأفكار والوساوس! ثم ألسنا جيرانا منذ زمن طويل؟ ألسنا نتقابل كل يوم في نفس الطريق، وعند الباب، عندما نعود في المساء؟ أليس داري لصيق دارك، وبابي رصيف بابك، وعيالي أتراب عيالك؟ أنسيتَ ذلك يا حسان؟

حسان: لا، أفهم ذلك كله، لكني فقط أريد معرفة شيء واحد؟

أبو حنيفة: (متنهداً) لا إله إلا الله، وما هو ياحسان؟

حسان: كيف تتجشم المجيء والتماس إطلاق سراحي وأنت تعلم علم اليقين ما أنا عليه من الموبقات ومعاقرة المسكرات، وإقلاق راحتك كل ليلة عندما تخلو إلى ربك؟

أبو حنيفة: سبحان الله يا حسان! إذن مادمت مصراً، فلتعلم أولاً أنك جاري، والجار وخصوصاً القريب له حقوقٌ كثيرة على جاره، لعل من أيسرها ما قمتُ به، ثم ما ذكرته عن نفسك ليس نهايةً في حد ذاته!

حسان: (منتبهاً إلى الملاحظة الأخيرة) وكيف ذاك يا أبا حنيفة؟

أبو حنيفة: (مؤكداً) أقصد في ذلك، وأرجو أن تفهمني جيداً، أن رحمة الله ومغفرته أوسع مما تظن بكثير.. **(يصمت قليلاً)**.. بإمكانك التوبة والإقلاع عما كنتَ عليه، يجب أن تعلم يابني أن الله يقبل التوبة عن عباده، وباب التوبة مفتوحٌ للمرء إلى أن يختم عمله وتخرج روحه، ولا تيأس من ذلك أبداً، يمكنك بدء حياة جديدة، وطيّ صحائفك السابقة، لأن التوبة تجبُّ ما قبلها، كما ثبت ذلك. هيا يا بني، لتذهب إلى زوجتك وأطفالك، فهم في أشد الشوق إلى لقائك.

حسان: (ينهار إلى الأرض منتحباً) لشد ما أشعر بالإثم والخطيئة لما فعلته في حقك!

أبو حنيفة: (منحنياً إليه) ما هذا يابني! لاحول ولاقوة إلا بالله، إنما أنا مخلوق من عرض مخلوقات الله! وإن كان هناك شيء فيجب أن تستغفر مما فعلته في جنب الله وتطلبه الصفح والعفو عن ذلك.

حسان: (محاولاً تقبيل يده) سامحني عما فعلته إزاءك، من إزعاجك في بيتك، ثم عنائك ومجيئك إلى هنا بسببي.

أبو حنيفة: (بعطف وهدوء) أطلب

أضاعوني

السماح والعفو من الله سبحانه، فإنه وحده هو الغفور الرحيم.

حسان: (رافعاً رأسه) إذن لتسمعني يا أبا حنيفة، ها أنذا أعاهد الله أمامك ثم أعاهدك على ألا أعود إلى شرب الخمر أبداً، وأن يكون آخر عهدي بها ما أُخذتُ بسببه.

أبو حنيفة: (مبتهجاً) بارك الله فيك ياحسان! هذا ما أمّلته فيك ورجوته من مجيئي إليك، ثبتك الله على ذلك.

حسان: (ممتناً) جزاك الله خيراً وشكر لك! سأطوي صفحة سوداء من تاريخ حياتي بفضل الله ثم بفضلك.

أبو حنيفة: اقبر تلك الأيام وابدأ حياة جديدة من الآن، وفقنا الله وإياك إلى صالح الأعمال! هيا يا بني، عيالك في انتظارك منذ غيابك المفاجئ لأكثر من أسبوعين.

(يخطوان بضع خطوات إلى الخارج.. يتوقف أبو حنيفة ويلتفت إلى حسان، ويقول بلهجة محببة، متوجة بابتسامة..)

أبو حنيفة: والآن، هل أضعناك يا فتى؟

حسان: (يفهم الإشارة، وبلهجة واثقة) لا، بل حفظتَ ورعيتَ، فجزاك الله لقاء ما صنعت يا أبا حنيفة!

يخرجان

□□ المنظر السادس

(بيت حسان الإسكاف.. نشاهد باحة البيت الصغيرة الآنفة الذكر، نسمع طرقاً على الباب، تخرج زينب لفتح الباب، وإلى صدرها صغيرٌ كانت ترضعه، تصل إلى الباب وتسأل..)

زينب: نعم، نعم، من الطارق؟

(لا إجابة... تفتح الباب فإذا حسان...)

زينب: (مندهشة) وارباه! حسان! زوجي العزيز!

حسان: زينب!! **(يحتويها)** لشد ما افتقدت رؤية هذا المحيا الجميل.

زينب: (ناظرة إليه بعيون دامعة) أكاد لا أصدق أنك عدت بعد هذا الغياب.

حسان: الحمد لله على ذلك! ها قد عدتُ الآن!

زينب: لكم أقلقني وعذبني غيابك، الحمد لله على رجوعك إلينا سليماً معافى من كل مكروه.

حسان: وأنا كذلك يازينب لكم برّح بي بُعدي عنك وعن الأولاد، (يأخذ الرضيع منها فيقبله) لكم اشتقتُ إليك أنت أيها المزعج الصغير.. أين بقية الأولاد؟

زينب: في الدار. **(تناديهم)** عمرو.. سمية.. عديّ.. هيا يا أولاد هذا أبوكم قد جاء!

(يأتي الأولاد جميعهم وهم يتخافتون)

الأولاد: (بصوت مختلط يشع بالبهجة) يا إلهي! لقد عاد أبي! ها هو ذا أبي! ها هو ذا أبي!

حسان: (منحنياً لهم) آه، مرحباً يا أولادي، آه، الحمد لله! لقد قرت عيني برؤيتكم أخيراً بعد هذه المدة **(يأخذهم إلى صدره فيقبلهم)** مساكين لقد تسببت في معاناتكم **(يحيطون به. أحدهم يحاول تسلق ظهره، بينما ظلت البنت الصغيرة تتشبث بثوبه لكي يأخذها إليه)**

عمرو: (أكبرهم): أين ذهبت يا أبي كل هذا الوقت؟ لماذا لم تخبرنا أنك ذاهب؟ لقد خفنا عليك كثيراً، خاصة بعدما رأيت أمي تندبك بحسرة وتقول: واحساناه!

(حسان ينظر إلى زينب بامتنان وإكبار، بينما بادلته نظرات ملؤها الوفاء وأومأت برأسها بأسى)

عدي: سألت أمي عنك يا أبي فقالت إنك سافرت إلى جدي بالكوفة، لماذا لم تأخذنا معك إذن؟

حسان: (منتبهاً لسؤال الصبي) آه، لا تقلق يا عدي، سأخذكم كلكم المرة القادمة إن شاء الله لتروا جدكم هناك.

(بعد قليل ينصرف الأولاد)

زينب: لم تخبرني ياحسان، أين اختفيت طوال هذه المدة؟

حسان: ألم يصلك خبر؟ لقد كنت في السجن، قبض علي العسس في تلك الليلة مع زمرة اجتمعتْ على باطل.

زينب: آه، لقد صدق ما سمعتُ إذن!

حسان: وهل سمعت عن ذلك؟

زينب: مجرد كلام يجيء ويذهب عن جماعة قليلة أخذهم العسس وصلني عرضاً أمس عندما كنت أواصل السؤال والبحث عنك في السوق.

حسان: (يقترب منها ويقبل رأسها) زينب، أرجوك سامحيني في كل ما أذنبته في حقك، لقد قدّمت لي الكثير ولكني لم أقابل ذلك بالإحسان..

زينب: (تتأمله) حسان....

حسان: (بحُرقة) لقد أخطأت كثيراً، وتهجمت عليك مراراً وقابلت نصحك بالسباب والشتيمة والكلام البذيء، خاصة عندما كنت أقارف تلك الخبيثة، الخمر.

زينب: حسان..

حسان: (متوسلاً) أرجوك اغفري ما ألحقته بك من أذى نفسي وجسدي، اغفري ما يتعلق بجانبك، فقد سويت مابيني وبين